النهار
٢٠٠٢/٩/٢٧

وسط هذا الليل

المفارقة صارخة: في فلسطين شعب يتحدى منع التجول لنصرة قائده التاريخي والمنتخب في وجه حصار المحتل، وفي لبنان وسوريا سلطات لا تواجه حصاراً ولا محتلاً لكنها تتفنن في تعميم المنع حتى يطول العقول. المفارقة موجعة: متى يرتقي القادة العرب الى مصاف الرئيس الفلسطيني، فلا يعودون يخافون من شعوبهم؟ المفارقة محبطة: وسط هذا الليل العربي، لا يأتي الضوء الا من قعر الاحتلال.

لقد مضى اسبوع على الحصار الجديد لمقر الرئيس ياسر عرفات والشعوب العربية لم تحرك ساكناً. لقد مضت ستة ايام على خروج الشعب الفلسطيني ليلاً لكسر المنع وحماية زعيمه، لكن حظر التجول لا يزال ساري المفعول ليلاً نهاراً (وطوعاً؟) في الشوارع العربية. قد تكون للشارع العربي، بحسب التسمية الرائجة، اعذاره بعد الدمار الذي ناله من ديكتاتوريات الانقلاب والملكيات الديكتاتورية على حد سواء (وقد صار التمييز بينها شبه مستحيل اصلاً). قد تكون له ظروفه القاهرة لما بلغه من يأس امام هواجس سلطوية لم تعد تترك مجالاً حقيقياً للتعبير عن التضامن مع فلسطين، وكان اسمها ذات يوم "قضية العرب المركزية". طبعاً، ان في بطولة الفلسطينيين ما من شأنه ابطال جميع الاعذار.

ومع ذلك، فان الشعوب معذورة اذا ما قورنت احوالها بتخاذل انظمة الحكم الحائرة بين التواطؤ الصامت وفجور الحمية القطرية. فالشعوب العزلاء على الاقل لا تدّعي لنفسها مجداً كالذي يعتدّ به حكام لم يعودوا يستقوون الا على مجتمعاتهم، فيما يمثلون ملوكاً عارين امام السيد الاميركي. على عكس الشعوب، لا ظروف تخفيفية لانظمة الحكم، بل ظروف تشديدية، فهي تفعل نقيض ما يتوجب عليها، وتستعد هكذا لتفويت الفرص النادرة المتبقية. اذ ان ثمة فرصاً، رغم انسداد الافق، لكنها تقتضي تغيير العادات السائدة على اختلافها. وهذا يعني ان المهمات متباينة بتباين المواقف الراهنة.

اي ان المطلوب مصرياً واردنياً وخليجياً هو اضفاء نفحة جدية من التشدّد على الموقف من اسرائيل، بينما يفترض سورياً ولبنانياً محاذرة التشدد واحلال الانفتاح السياسي، الداخلي والخارجي على حد سواء، مكان نزعة الانغلاق المتفاقمة. في كلا الحالين، تأتي الفرص من الاصرار الاميركي على التحضير لضرب العراق. فاذا لم يكن واقعياً ان تواجه الانظمة العربية طويلاً هذا الاصرار الاميركي، الا انها تستطيع ان تجد فيه دافعاً للتحرك تجاه فلسطين.

والمجال الاول للتحرك هو بقطع العلاقات مع اسرائيل. ان مثل هذا الاجراء شبه مستحيل في العادة، ولعل الحكم المصري على حق عندما يعتبر ان العلاقات الديبلوماسية هي جزء من رزمة لا تتجزأ وتشمل في ما تشمل معاهدة السلام والمساعدات المالية الاميركية. الا ان المستحيل قد اصبح - التتمة في الصفحة ١٦ - ممكناً في ظل الصعوبات التي يواجهها الرئيس جورج بوش ورئيس الحكومة البريطانية طوني بلير في كل من بلديهما ومع حلفائهما.

بهذا المعنى، فان اقدام مصر على خطوة دراماتيكية من هذا النوع لن يشكل مغامرة غير محسوبة العواقب، ولن يتسبب برد عسكري اسرائيلي او حتى بقطع المساعدات الاميركية. اذ ان آرييل شارون سيجد في هذا الظرف من يلجمه، ليس لسبب الا الحرص على عدم تخريب حرب بوش.

النهار
٢٠٠٢/٩/٢٧

والسبب نفسه سيحول دون عقاب مالي اميركي لمصر. الظرف نفسه ينطبق على الاردن الذي يلعب دوراً اساسياً في التحضير لما بعد صدام، الا انه لا ينسحب على الجبهة السورية - اللبنانية مع اسرائيل. هنا، لا يمكن ان يكون التصعيد سياسياً بحتاً، باعتبار ان لا سلام ولا معاهدات، ولا بد له حتى يُلاحَظ ان يتخذ شكلا ميدانياً. غير ان روح المغامرة الشاروني لن يجد من يكبحه على هذه الجبهة، ولا سيما ان الاشكال المحتملة للمغامرة وسرعتها المرتقبة في ظل التفاوت في ميزان القوى لن تترك ما يكفي من الوقت لتدخل اميركي. والحق ان العكس قد يكون مطلوباً.

فاذا كان لا بد من تشدد مصري واردني وخليجي تجاه اسرائيل والولايات المتحدة، فان ما تستطيع ان تقدمه سوريا من اجل احباط الحرب الاسرائيلية على الفلسطينيين هو تعديل موقفها من السلطة الفلسطينية ومن رئيسها (الذي لا تزال صحافة دمشق ترفض ذكر اسمه)، بما يعني ذلك من وقف للدعم الممنوح الى "حماس" و"الجهاد الاسلامي". كذلك، ان احباط المشاريع الاسرائيلية العدائية حيال سوريا نفسها، يتطلب التوقف عن الامعان في الانغلاق. فاذا كانت سوريا معنية حقاً بمشروع القانون الموجّه ضدها في الكونغرس الاميركي، وهي في المناسبة لا تبدو كذلك الا في لبنان، فالحل ليس باطباق ابواب السجن.

قد تكون سوريا مطمئنة الى ان ادارة بوش لا تضمر لها الشر، بعد ما وصلها من شهادات علانية على تعاونها الامني، وقد تكون قد حسبت سلفاً انها ستدفع ما يطلب منها دفعه حينما يُطلب. وفي هذه الحال، لمَ كل هذه الجلبة التي لا تؤدي سوى الا تعقيد مهمة الرئيس بوش؟ اما اذا كانت القيادة السورية قلقة، رغم هذه الشهادات، من مشروع محاسبتها، فليس السبيل الافضل الى درء الخطر تأكيد ما جاء في البند اللبناني من هذا النص باللجوء الى مزيد من الارهاب القضائي والامني ضد معارضيها.

ان تعتقد القيادة السورية انها تستطيع منع امرار هذا القانون بواسطة تجريم الفكر في لبنان، فهذه سخافة لا تليق بدولة تتطلع الى تجديد دورها في محيط اقليمي ينقلب رأساً على عقب. اما اذا كانت تريد الاستفادة من الظرف لتجريم الفكر في لبنان، بعدما جرّمته في سوريا، فهذا خطأ جديد، وهو ايضاً لا يتلاءم مع وجهة المنطقة التي تريد المساهمة في تجديدها. فضلاً عن انه لا يليق بالظرف، حين لا يخرق الليل العربي الا الدرس الآتي من فلسطين الديموقراطية.

سمير قصير

النهار
٢٠٠٢/٩/٢٧

Id-Reference	**02-Pr-000523**	
Media	**(Support)**	HC
Title		وسط هذا الليل
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		١ تتمة ١٦ 1 + 16
Date		٢٠٠٢/٩/٢٧ 27/09/2002
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	ياسر.عرفات – اريل.شارون – جورج.بوش.ابن – طوني.بلير
	Locations	لبنان – سوريا – فلسطين – مصر – أردن – عراق – خليج – اسرائيل – ولايات.متحدة
	Dates	
	Themes	عرب – اسرائيل – سلام – لبنان – سوريا.نظام – ديموقراطية – إدارة.بوش – قادة.عرب – مصر – علاقات.عربية.اسرائيلية – جبهة.سورية.لبنانية.اسرائيلية – فلسطين – شعب.فلسطيني – حرب.اسرائيلية.على.فلسطين – حماس – جهاد.اسلامي – ياسر.عرفات – قضية.فلسطين – محاصرة.عرفات – أنظمة.عربية – اريل.شارون – سوريا – ولايات.متحدة.كونغرس – محاسبة.سوريا – حكم.مصري – حسني.مبارك – بشار.أسد – إرهاب.قضائي.أمني – معارضة.سورية – قيادة.سورية
Subject		